الانعكاسات المجالية للهجرة الداخلية على مدينة انواكشوط

أحمد ولد محمد المصطفى ولد بيه
قسم الجغرافيا

أبوبكر ولد يحي ولد أمحيمد
قسم الجغرافيا

الملخص

تعتبر الهجرة الداخلية من أهم المشاكل التي تواجهها موريتانيا في الوقت الراهن، فمن المعروف أن الهجرة الداخلية كعملية كلية لا تقتصر على مجرد تغيير الإقامة من مكان إلى آخر وإنما هي كذلك تغير في حجم السكان وبنياتهم المختلفة ضمن مناطق المغادرة والوصول، كما أن عواملها ودوافعها المتعددة وانعكاساتها علي المناطق المهاجر منها وإليها لن تخرج عن كونها مجرد ترجمة لاختلالات مجالية سواء على مستوى الموطن الأصلي وموطن الاستقبال.

ولعل الإشكال الصعب الذي تعشيه مدينة نواكشوط في مجال الهجرة الداخلية هو الاختلال القوي في توزيع السكان داخل الأحياء من جهة وبين الأحياء الرئيسية والثانوية من جهة أخرى وبين نواكشوط وباقي المدن الموريتانية الأخرى، وما يرافق ذلك من تحديات لخطط المدينة وبرامجها التنموية، نظرا لأن حركات السكان داخل حدود المدينة بصفة خاصة ووطنهم بصفة عامة لا تحكمها الضوابط التي تتحكم في نظيراتها علي مستوى الهجرات الخارجية، وإنما هي مجرد استجابة حرة لما تمليه ظروف الجاذبية والطرد والمفاضلة بين مختلف المناطق، وفي الوقت نفسه فإن أغلب التدخلات التي أعدت لمواجهة هذه الظاهرة في نواكشوط طبعتها الآنية وأحادية القطب وابتعدت كثيرا عن إدراك الوجه الصحيح لما يمكن أن تستدعيه الهجرة المتوازنة من حلول لمشكلات السكان وإعادة توزيعهم عبر المجال وفقا لمقاربة محلية و جهوية ووطنية.

مفاتيح المقال:(motsclés): الهجرة، انواكشوط، الوسط الحضري

مقدمة

يتزايد سكان العالم بصورة سريعة و بمعدلات نمو كبيرة مما أدى إلى تغير شكل المعمورة فوق قارات العالم المختلفة، حيث تجاوز عدد سكان العالم سبعة مليارات نسمة في بداية القرن 21 م وهي متفاوت في حجمها، وفي توزيعها و في حركتها وفي خصائصها من قارة إلى أخرى ومن دولة إلى دولة وداخل أجزاء الدولة الواحدة ، أن معرفة أسباب الاختلاف المكاني لتوزيع السكان و أثاره وارتباطه بالملامح الطبيعية والبشرية كافة في إقليم الدراسة هو ما ترمي إليه دراسة الهجرة التي تبلور مظهرها وأصبحت ظاهرة تستدعي الدراسة في العقد الخامس من القرن العشرين.

لعل الإشكال الصعب الذي تعيشه كثير من البلدان المختلفة في مجال الهجرات الداخلية هو الاختلال القوي في توزيع سكانها بين الوسطين الريفي و الحضري من جهة وبين المدن الرئيسية والثانوية من جهة أخرى.

فقد حولت الهجرة الداخلية العشوائية كثيرا من بلدان آسيا ولإفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى ما يشبه "المدينة الدولة" التي كانت سائدة في القرون الوسطى وذلك عندما أصبحت عواصم هذه البلدان تحت تأثير الهجرة، مهيمنة على مراكز القرار والأنشطة الاقتصادية الحيوية، ويزداد الوضع صعوبة في الدول حديثة الاستقلال مثل موريتانيا وهي التي لم ترث بنى أساسية عن الفترة الاستعمارية ولم تكن لديها تجارب عريقة في ميدان التحضر.

قد أظهرت نتائج إحصاء 2000 في موريتانيا أن 87%[1] من الوافدين الجدد علي العاصمة انواكشوط يأتون من الحواضر والمدن الكبرى و المتوسطة في البلاد مما يعني أن الأمر لم يعد يتعلق بسكان قادمين من الأرياف يتكيفون جيدا مع ظروف الحياة في "الصفيح" وإنما بحضريين يسعون إلى الحياة الحضرية وبالتملك العقاري، مما عكس وجه المدينة غير الحضاري و جعلها عاجزة عن توفير الخدمات الضرورية لسكانها المتزايدين، هذا ما دفعنا إلى اختيار أسباب الهجرة الداخلية و انعكاساتها على مدينة نواكشوط كموضوع يتمحور حوله المقال، كما لفت انتباهنا هذا الإقبال الكبير والمتسارع للسكان على الأراضي في المنطقة رغم مقاومة الدولة لذلك، وتعزز اهتمامنا أكثر بهذا الموضوع نظرا لحداثة هذه الظاهرة وعدم التطرق إليها كموضوع للبحث

1 المكتب الوطني للإحصاء 2000

مخصص لها من قبل الباحثين الذين تطرق بعضهم إلى الهجرة ومدى مساهمتها في الزيادة السنوية للسكان في نواكشوط، ثم دراسة اجتماعية لأحياء الكبات.

لكن النمو السريع للمدينة بطريقة عشوائية تتطلب الكشف عن أسبابها وانعكاساتها علي المدينة.

وفي سبيل دراسة هذا الموضوع وضعنا مجموعة من التساؤلات تنصب أساسا حول الأسباب المؤدية لهذا النمو وانعكاساته وهي:

1- ما هي أسباب الهجرة إلى نواكشوط ؟

2- ما هي انعكاساتها على السكان؟

3- ما هي المشاكل التي تواجه المهاجرين في الاندماج والتكيف مع الوسط الحضري في المنطقة؟

وفي سبيل الرد على مثل هذه التساؤلات سوف نقوم بتحليل الأسباب المختلفة لتلك العوامل وانعكاساتها حتى تكون صورتها مكتملة وحصص مساهمتها في هذه الظاهرة جلية.

1- أسباب الهجرة

إن دراسة الأسباب العامة ما هي إلا تشخيص للحالة التي سادت منطقة الأصل ومنطقة الوصول. وتهيأت بموجبها ظروف الهجرة ودوافعها والتي تختلف بطبيعة الحال من مهاجر لآخر ومن منطقة إلى أخرى. وإذا كانت الدراسات المتعددة في ميدان الهجرة قد ركزت في كثير من الحالات على ثنائية "الطرد و الجذب" في أماكن الإرسال والاستقبال فإنه من المفيد التنبيه إلى أن إشكالات الهجرة الداخلية قد لا تخضع لهذا الوضوح الصارم لعوامل الطرد في المكان الأصلي وعوامل الجذب في المهجر، وذلك أن مقارنة أوضاع المهاجرين مع نظيراتها في الأماكن الأصلية لهم تكشف في بعض الأحيان عن مدى المعاناة التي تنتظر المهاجر الريفي داخل (أحزمة الفقر) التي تطوق أغلب المراكز الحضرية في البلاد مثل أحياء توجنين وعرفات في انواكشوط.

ومن المهم في بداية الحديث عن الأسباب العامة للهجرة الداخلية التنبيه إلى أن تهيئة الظروف لا يعني بالضرورة الاستجابة لها حيث ترتبط تلك الاستجابة بمقتضيات أخرى قد تدخل فيها العوامل النفسية والثقافية وغيرها ولذا لا غرابة أن يهاجر بعض الناس نتيجة وضع اقتصادي أو اجتماعي معين في حين يفضل آخرون العيش في ظل تلك الظروف.

1-1- الأسباب الطبيعية

تتمثل الأسباب الطبيعية في الأساس حول تقلبات المناخ وأثره في خريطة السكان وذلك من خلال دراسة الانعكاسات السلبية لظاهرتي الجفاف والتصحر على حركة السكان.

حيث أن تناقص كميات الأمطار وما نجم عنها من تدهور في الحياة النباتية والحيوانية أدى بأغلبية السكان في الجهات المتضررة إلى هجرة مناطقهم الأصلية. وكانت البداية الفعلية لتناقص الأمطار قد ظهرت 1978 م. حين تراجعت كميات الأمطار من 807 مم في منطقة سيلبابي التي تعتبر من أكثر مناطق البلاد تساقطات إلى 415 مم و بلغ هبوط المتوسط السنوي لكميات الأمطار إلي مستوي 162 مم سنة 1988م بعد أن كان 326 مم سنة 1987 م[1]لقد لوحظ في هذه الفترة بروز تيارات هجرية كبيرة منطلقة من الأرياف نحو المدن. و يمكن أن نقول أن ظاهرة إنشاء القرى وتوسع المدن كانت بدايتها الفعلية في السنوات الأخيرة من السبعينات، فقد قدر عدد سكان انواكشوط في سنة 1979 ب40.000 نسمة بعد أن كان لا يتجاوز سنة 1965م12.178 نسمة، وتعزى هذه الزيادة إلى عامل الهجرة و النمو الطبيعي الذي بلغ 2.17%، لكن تيار الهجرة ظل مستمرا وبلغ أشده في سنوات 1989و1995م، ففي هذه الفترة بدأت أحياء التوسع العشوائي في الظهور مشكلة أحزمة من الخيام والصفيح غير المنتظمة التي تطوق المدينة، حيث كان وقع الجفاف أخطر على الثروة الحيوانية والإنتاج الزراعي النشاط الأساسي للسكان. مما أدى إلى تجدد تيارات الهجرة من الأماكن الأكثر تضررا، رغم تفاوت مناطق البلاد من حيث مستوى تأثرها بهذه الظروف الطبيعية القاسية. فقد تضررت المناطق الشرقية والوسطى من البلاد التي تعتمد في اقتصادها المحلي على الثروة الحيوانية والإنتاج الزراعي وكذلك المناطق الجنوبية، إلا أن المناطق الشمالية المنجمية والشاطئية (انواكشوط) ظلت مناطق جذب نظرا لعدم ارتباط نشطتها الاقتصادية بالعوامل المناخية وبالتالي شكلت إغراءا للباحثين عن العمل. وقد مثلت العاصمة أهم المناطق المستقبلة للمهاجرين الفارين من مناطقهم الطاردة وكانت ولايتي الترارزة ولبراكنه أكثر هذه الولايات هجرة إلى العاصمة بحكم القرب مناه من جهة وتضررهما بظاهرة الجفاف والتصحر، حيث استقبلت

---

1 ولد محمد الولاتي بشيري، جغرافية موريتانيا – الطبعة الأولى– المطبعة الوطنية، السنة 1993 م.

انواكشوط أكبر تيارات هجرية منهما. وقد ارتبطت سنوات الهجرة بسنوات الجفاف مما يؤكد قوة العلاقة بينهما فمن خلال دوريات المكتب الوطني للإحصاء في دراسة لعينة 42 أسرة ظهر أن 49.4% وصلت الفترة ما قبل 1995 وأن النسبة الباقية من المهاجرين وصلت في الفترة ما بين 1995- 2000 وهي فترة تناقص الأمطار بشكل كبير في المجال الموريتاني عموما و الجدول(01) يبين فترات وصول الأسر إلى انواكشوط.

الجدول (01): فترات وصول الأسر إلى انواكشوط .

الفترة	العدد	النسبة
قبل 1990	19	22.5
1995 - 1990	23	26.9
2000 - 1995	20	23.7
2002- 2000	11	13.4
ما بعد 2002	12	13.5

المصدر : من إعداد الباحث اعتمادا على المكتب الوطني للإحصاء 2000.

الشكل (01):فترات وصول لأسر إلى نواكشوط.

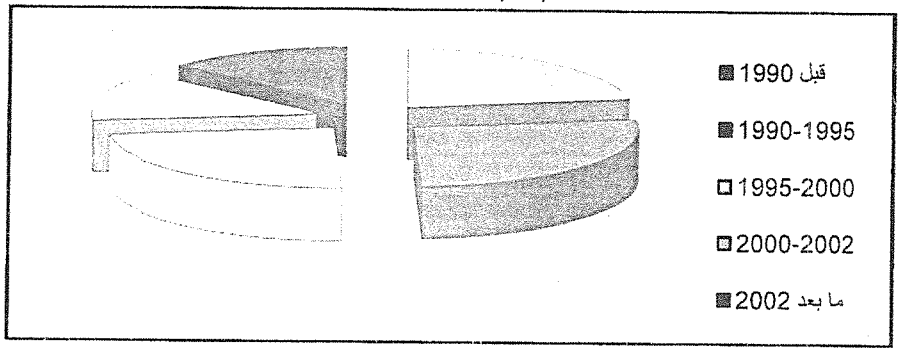

المصدر : من إعداد الباحثين اعتمادا على الجدول(01) 2000.

كما هو واضح من خلال الجدول(01) نجد أن سنوات الوصول هي سنوات حدة الجفاف، وأكدت 20 أسرة أي نسبة 46% أن الدافع المباشر لهجرتها هو عامل الجفاف، وعليه فإن السنوات الجافة

والتي تدنت فيها معدلات الأمطار وساء توزيعها المجالي بشكل كبير نجمت عنها حالة من عدم الاطمئنان في عالم الريف نتيجة انقطاع التحسن في معدلات الأمطار وما ترتب عنه من ندهور للركيزة الأساسية للاقتصاد الريفي بشقيه الزراعي والرعوي جعل البحث عن بديل للدخل أفضل فكرة رئيسية يسارع المهاجرون إليها. و قد كانت المدن ذات الأنشطة الاقتصادية كنواكشوط محطات جذب جديدة للراغبين في تحسين ظروفهم الاقتصادية.

1-2- الأسباب الاقتصادية

تعتبر الزراعة والرعي من أهم القطاعات حيوية في الاقتصاد الوطني، حيث كانا يستوعبا 95% من اليد العاملة في الريف الذي مثل سكانه حسب الخطة الثانية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (1976 - 1984)75%[1] من السكان. ولكن نظرا للظروف الاقتصادية المتردية في الأرياف نتيجة موجات الجفاف المتعاقبة بدأت هذه النسبة تتراجع بشكل ملحوظ، حيث تناقص عدد المشتغلين بالزراعة في الوسط المستقر للفترة ما بين التعدادين من 57.4% سنة 1988إلى46.4% سنة 2000م ويوضح هذا التراجع مدى تأثير الظروف الطبيعية على الاقتصاد التقليدي، تناقص المحصول الزراعي سنة 1995 إلى 35% عما كان عليه سنة 1989 حسب وزارة التنمية الريفية و البيئة[2].

ونظرا إلى أن الزراعة في موريتانيا لا تزال إلى حد الساعة بدائية في شطرها الأكبر حيث يسود الطابع الحرفي و الارتباط الصارم بالأمطار إلى جانب استخدام المجهود العضلي المباشر للإنسان في هذا النشاط بدءا بعمليات البذور وإزالة الأعشاب وانتهاء بالحصاد والدرس. ونظرا لهذه العوامل التي أدت إلى أن تكون الزراعة معاشية تعتمد عليها الأسر لسد حاجياتها الأساسية، وأي تدني في مستوى إنتاجها تجعل الأسر التي تمارسها تلجأ إلى وسائل أخرى للعيش تعوضهم مصدر رزقهم، مما يعني في النهاية الهجرة إلى مناطق توفر البديل، فكانت انواكشوط هي البديل المفضل لفئات هامة من هؤلاء وقد زاد من جلب المدينة للسكان عمليات التوزيع للمواد الغذائية التي ترسلها هيئات

---

1 سيد عبد الله ولد محبوبي، الهجرات الداخلية و التنمية في موريتانيا، الثنائي الحرج، كتاب منشور بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان 1997، المطبعة الوطنية.

2 المكتب الوطني للإحصاء 2000 مرجع سبق ذكره

خيرية ودول أجنبية لمساعدة المنكوبين من الجفاف. وتقوم الدولة بتوزيع هذه المواد الغذائية، كالقمح، الألبان الجافة، الزيوت وغيرها على المواطنين بصفة دورية، مما جعلهم يبتعدون عن مزاولة نشاطاتهم الموسمية التقليدية، خاصة في فترات تحسين كميات الأمطار ومزاولة أعمال جديدة في المدينة التي استقروا بها. ومن خلال دوريات المكتب الوطني للإحصاء2000م فإن نسبة 11% من أرباب الأسر كانوا يزاولون مهنة الزراعة قبل هجرتهم وأن المهنة التي يمارسون الآن ليست لها صلة بمهنتهم القديمة.

ولم يكن المنمي أقل حظا من المزارع الذي تضرر قطاعه هو الآخر من تدهور شديد أدى في بعض الجهات أن تفقد 95% من قطعان المواشي، وقد تفاوتت مناطق البلاد من حيث مستوى الخسائر تبعا لتفاوت كميات التساقطات.

وقد تضافرت العوامل الاقتصادية والعوامل البيئية على دفع أعداد هامة من السكان إلى الهجرة، حيث بلغت نسبة الداخلين لانواكشوط حسب التعدادات الثلاث التي عرفتها موريتانيا أن نصيب مدينة انواكشوط من الهجرة الداخلية كان كبيرا كما هو بين في الأرقام التالية حسب إحصاء 1977، أن 64.1% من سكان انواكشوط مهاجرا، وفي سنة 1988م، كان 56% من سكان انواكشوط مهاجرا وأن 53.8% من سكانها مهاجرا حسب إحصاء 2000. الجدول(02)، وبذلك تكون العاصمة ظلت محتفظة بصافي هجرة إيجابي كما يظهر في الجدول(02).

الجدول (02): مقارنة محل الميلاد بمحل الإقامة بالنسبة لسكان انواكشوط 2000.

محل الميلاد و محل الإقامة	السنة 1977	1988	2000
نفس الولاية	22.3	42	43.3
ولايات أخرى	64.1	56	53.8
أجانب	13.6	2	2.9
المجموع	**100**	**100**	**100**

المصدر : Migration et urbanisation, 2000. P. 5, O.N.S.

الشكل (02): مقارنة محل الميلاد بمحل الإقامة بالنسبة لسكان انواكشوط 2000.

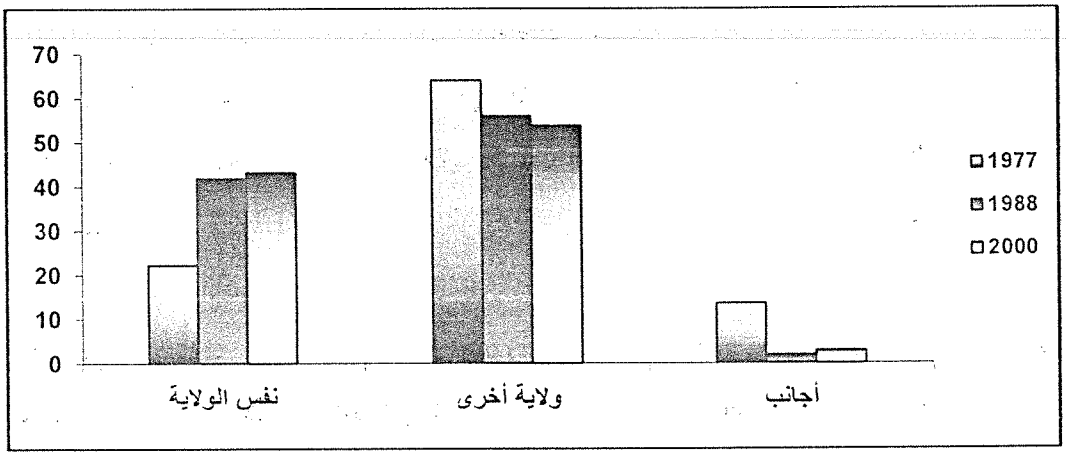

المصدر : من إعداد الباحث اعتمادا على الجدول (02).

تعد نواكشوط بصفة عامة من المدن الأكثر استقطابا للمهاجرين، لأنها تتمتع بتركز بعض الأنشطة الاقتصادية وقطاع الخدمات ووجود موانئ صيد تجارية ومؤسسات خاصة وعمومية، إضافة إلى المرافق الاجتماعية والمؤسسات التعليمية، كما أن هذه العناصر أعطتها حظا أوفر في جلب أكبر عدد من المهاجرين الذين يتطلعون إلى حياة اقتصادية واجتماعية أحسن لم تستطع مناطقهم الأصلية توفيرها.

1-3- الأسباب الاجتماعية

تشكل الأسباب الاجتماعية دافعا إلى الهجرة بالنسبة للأفراد والجماعات سواء كانت تلك الأسباب مرتبطة بالمناطق الطاردة أو الجاذبة. وتتفاوت هذه الدوافع من شخص لآخر، فالتطلع للحرية فكرة تراود طبقات اجتماعية معينة[1] حاولت منذ بداية الاستعمار الابتعاد من مناطقها الأصلية والهجرة إلى المراكز الحضرية الناشئة آملة منها في أن تكون أكثر أمنا. وتمثل هذه الفئات شريحة الصناع "أصحاب الحرف اليدوية" الشباب والنساء الراغبين في التطلع إلى الحياة الحضرية والذين يرون أن

1محمد ناصر محمد بباه، مدينة انواكشوط دراسة في الجغرافيا الحضرية، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض 1984

في المدن تذوب الفوارق الاجتماعية، كما أن قياس العمل في مجتمع المدينة منوط بالمرد ودية أكثر من الشكل، وقد ساهمت مدينة نواكشوط بقسط وافر إذ أدى تركز السلطة التنفيذية والقضائية بها على توطين فئة اجتماعية كانت مستغلة أعتبره المدينة أكثر ملائمة و أوسع أمنا. فعرفت هجرة أعداد كبيرة من الباحثين عن الحرية ومعرفة الأوساط الحضرية. وما تتميز به من خدمات مثل الإنارة، التلفزيون، دور سينما، الأسواق الكبير، الوسائل الترفيهية وغير ذلك إضافة إلى أن بعض المهاجرين يستطيعون مزاولة بعض الأعمال التي لا تستحب مزاولتها في مناطقهم الأصلية كالأعمال اليدوية التي لم تستساغ عند طبقات من السكان. كما تلعب العلاقات الاجتماعية دورا كبيرا في الهجرة إلى المنطقة، فالمهاجر كما يقال جسرا لغيره من المهاجرين[1]، نظرا لما يوفره لهم من مأوى و تسهيلات الإقامة حتى يتسنى لهم العمل. وتلعب العلاقات القبلية والجهوية دورا أساسيا في تعزيز الهجرة حتى أن هذه العلاقات بدأت تظهر على المجال داخل انواكشوط نفسها، حيث يظهر نوع من التمايز الجهوي والقبلي والعرقي داخل المدينة على مستوى الأحياء.

1-4- الدوافع الثقافية

نظرا لما تتوفر عليه مدينة نواكشوط من تركز للخدمات التعليمية، فقد جذبت إليها فئات من الشباب الطالبين للعلم والذين تعاني مناطقهم من نقص في الخدمات الثقافية أدى إلى جعلها طاردة لمثل هذه الفئات، نظرا لعدم تلبية متطلباتهم من الناحية العلمية، فحين أن انواكشوط هي التي تحتضن أهم الجامعات وكافة المعاهد الإدارية والمدارس المتخصصة، كمدرسة تكوين المعلمين والمدرسة العليا للأساتذة والمدرسة الوطنية للإدارة والمعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلامية والمدرسة الوطنية للممرضين والمدرسة الوطنية للتكوين الإداري والتجاري والعائلي ومعهد التخصصات الطبية ومعهد تحفيظ القرآن ومقابل هذا التركيز للمؤسسات التعليمية داخل العاصمة، في حين لا تتوفر الولايات الأخرى على فروع من هذه المدارس والمعاهد لتحد من تيار الهجرة نحو المدينة. كما تولد عن العامل الثقافي دوافع أخرى في المهجر قد تصبح أكثر مدعاة للاستقرار في المواطن الجديدة.

1 Diacana, 1993 croissances urbaines et dynamique spatiale à Nouakchott Thèse de doctorat en géographie et aménagement urbains, université Lumière Lyon II, Institut d'urbanisme.

وقد أكدت 8.25%[1] كما هو في الجدول(03) أن سبب هجرتهم هو العامل الثقافي واستقروا بعد ذلك. فالفرد المتعلم يتوق دائما إلى مزيد من الرقي في السلم المعرفي وهو طموح ينجح فيه البعض ويقوده في النهاية إلى الخروج من دائرة أوطانه الأصلية والعيش في المدن التي تتيح مزيدا من الشهرة العلمية والثقافية، وعليه فإن النخبة المثقفة والطامحين للعلم وللمعرفة يكون مجال تركزهم في جوار العاصمة حيث يتوفر النشر والنشاط الثقافي وسهولة الاتصال بالعالم الخارجي عبر مختلف الوسائل وهو أمر يجعل الروافد المتعلقة بالأسباب الثقافية متجددة.

الجدول (03): دوافع الهجرة إلى انواكشوط2000

دوافع الهجرة	العدد	%
البحث عن عمل	1077	51
هلاك المواشي	211	10
الحصول على مساعدات غذائية	148	7
الحصول على قطع أرضية	127	6
للعلاج	116	5.5
لاستكمال التعليم	96	4.5
لتعليم الأبناء	79	3.75
للسكن عند الأقارب	69	3.25
للتجارة	63	3
لتوفير الخدمات	42	2
مرافقة الزوج	21	1
أخرى	63	3
المجموع	**2112**	**100**

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على المكتب الوطني للإحصاء2000.

1 المكتب الوطني للإحصاء 2000 مرجع سبق ذكره

لشكل (03): دوافع الهجرة إلى انواكشوط.

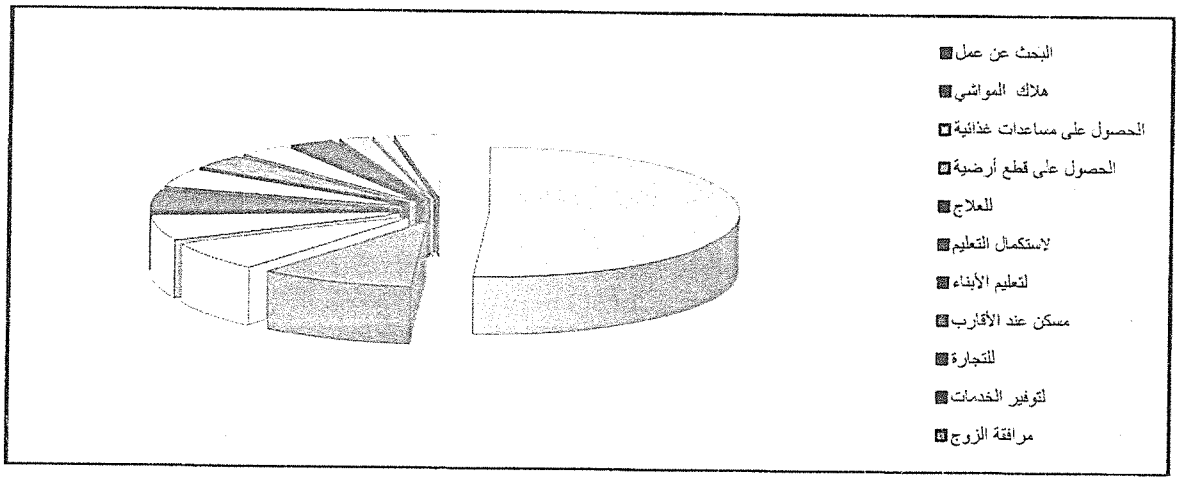

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على الجدول (3).

2- انعكاسات الهجرة على انواكشوط :

الهجرة ليست مجرد انتقال من مكان إلى آخر بل أعمق من ذلك، فالمهاجر يطمح من وراء هجرته إلى تحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية عجزت منطقته الأصلية عن توفيرها. وقد ينجم عن تحقيقه لهذه الأهداف تأثيرات اجتماعية واقتصادية ومجالية وديمغرافية ليس فقط على مناطق الاستقبال التي تتأثر بالمهاجرين على مستوى العوامل المختلفة السالفة الذكر بل أن مناطق الإرسال تعاني هي الأخرى من وقع هجرة أهلها.

2-1- الانعكاسات الديمغرافية للهجرة على مدينة انواكشوط

تتضح التأثيرات في كثير من المظاهر على منطقة الانطلاق والاستقبال فمناطق الانطلاق تعاني من اختلال في المعادلة الطبيعية للتركيب الديمغرافي لساكنيها، حيث تمثل الفئات لغير نشطة(النساء" والشيوخ و الأطفال) أغلبية ساكنيها. فبينما تهاجر الفئات النشطة من الذكور إلى المدن للبحث عن عمل، فإن الفئات لغير النشطة السالفة الذكر تبقى في المدن والأرياف المهجورة معبرة عن انعدام النشاطات في هذه المناطق بينما يتجه النشطين نحو المناطق التي توفر لهم مصدر عيش جديد.

لقد أوضح إحصاء 2000 أن مدينة انواكشوط مثلت فيها نسبة الذكور 131.1% مقابل الإناث، ووصلت النسبة إلى أكثر من 160.9% في مدينة انواذيبو، وتعتبر المدينتين السالفتين من أكثر مدن البلاد جذبا للسكان الباحثين عن عمل. وقد ازدادت نسبة المهاجرين إلى العاصمتين الاقتصادية والسياسية في سنوات حدة الجفاف، حيث تضافرت عوامل الجذب التي تحظيان بهما مع عوامل الطرد خاصة الطبيعية منها والتي سادت البلاد في عقد التسعينات إلى إرسال تيارات هجرية كثيفة من المدن والأرياف الداخلية نحو المدن الساحلية إضافة إلى مدينة ازويرات المنجمية .كما احتفظت هذه المدن بصافي هجرة إيجابي، بينما عانت الولايات الداخلية من صافي هجرة سلبي باستثناء ولاية قيديماغا التي لها خصوصيتها الزراعية والرعوية والتي تجذب إليها السكان.

وتأثر مناطق الإرسال ديمغرافيا على مستوى الرقم الإجمالي للسكان حيث يكون معدل صافي الهجرة في معظم الولايات سالبا كما توضحه المسوح والتعدادات الماضية .ففي الفترة ما بين 1985و2000 م وصل في آدرار (-0.21) و اينشري (-0.31) وتكانت(-0.62)[1]...الخ. كما أن تأثير الهجرة لا يقتصر فقط على أعداد السكان بقدر ما له من تأثير على الزيادة الطبيعية، فهجرة الذكور عن مناطقهم الأصلية تترك فراغا في الحالة الزوجية وما يرتبط بها من مؤشرات الخصوبة العامة والخاصة، حيث نجد نسبة هامة من النساء في سن الإنجاب نفسها تعاني من عدم الزواج مما يضيع عليهن فرصة الإنجاب وقد تفوتهن تلك الفرصة عندما يصلن إلى سن متقدمة يكون فيها الزواج دون جدوى خاصة بعد الوصول إلى سن اليأس 45 سنة، ويعزى كل ذلك إلى هجرة الذكور عن مناطقهم الأصلية.

وقد انعكست السمات الديمغرافية لمناطق الاستقبال على العديد من الأوجه حيث أصبح النمو الديمغرافي المتتالي لهذه المراكز يطرح عدة صعوبات على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي.

2-2- الانعكاسات الاقتصادية للهجرة

تعرف المناطق المصدرة للمهاجرين اختلال في بيئتها الاقتصادية، مما يدفع بأبنائها إلى ترك مناطقهم الأصلية، حيث تراجعت مصادر رزقهم إثر تأثير عامل الجفاف على الاقتصاد الريفي،

1 المكتب الوطني لإحصاء 2000

الثروة الحيوانية والإنتاج الزراعي، وكانت المدن الساحلية والمنجمية مناطق جذب مغرية للمهاجرين الباحثين عن عمل والذين تعتمد عليهم في الغالب أسرهم لسد حاجياتها الغذائية التي لم تعد تتوفر في الريف، فالزراعة المطرية مرهونة بالأمطار التي شهدت تراجعا كبيرا في الفترات الأخيرة أما الثروة الحيوانية فإن الاستفادة منها إذا كانت موجودة تكاد تقتصر على فترة الخريف، حيث يقوم مالكها في فترات الصيف و الشتاء بالترحال بها لغرض الانتجاع.

وعلى هذا فإن انعكاسات الهجرة الإيجابية على مناطق الإرسال قد لا تكون غائبة كلية إذ أن المهاجر في كثير من الأحيان يظل مرتبطا بذويه في موطنه الأصلي عن طريق المعونات التي يرسلها لهم والاستثمارات التي قد يقوم بعض المهاجرين بها في مناطقهم الأصلية، ومن الملاحظ في السنوات الأخيرة أن الانتخابات السياسية وسيادة النظام "الديمقراطي" في البلاد بدأت تظهر معه ارتباطات قوية للمهاجرين بمناطقهم الأصلية، حيث يقومون بزيارتها بشكل دائم خاصة في فترات الانتخابات كما قوت من ظاهرة الاستثمار وبناء المساكن بها بعد أن كادت أن تكون الهجرة نهائية بالنسبة للمعنيين والذين يطمحون إلى تحقيق رقي لوظائفهم السياسية، والتعيينات السياسية للأفراد مرهونة بمكانتهم في مناطقهم الأصلية لكن هناك شريحة من المهاجرين لا تقم بمثل هذه الأمور وتبقى في المهجر تواجه مشكلات ما بعد الهجرة والتي تطرحها مناطق الاستقبال على الصعيد الاقتصادي. توجد شريحتين متغايرتين في الخصائص الاقتصادية بصورة كبيرة، فإلى جانب أحياء الفقر المطوقة للمدينة والموغلة في تدني مستويات حياتها، تعيش طبقة ميسورة الحال داخل أحياء المدينة الراقية وتظهر هذه الأحياء مدى الهوة الاقتصادية بين السكان.

ومع أن التأثيرات الاقتصادية علي مناطق الاستقبال قد طغي عليها الجانب السلبي فإن ذلك لا يعني أن تلك المناطق لم تستفد من المهاجرين الذين يشكلون سوق واسعة[1] ويدا عاملة رخيصة، رغم ما يطرح من مشكلات في ميدان الخبرة و التأهيل المهني لمجموعات الوافدين من المناطق الريفية، غير أنه من الضروري كذلك التنبيه إلى أن أغلب تلك المشكلات الاقتصادية إنما ينعكس أساسا على مجموعات المهاجرين الجدد في حين تبدأ آثارها السلبية في التراجع كلما طالت فترة

---

1 محمد ولد أعبيد، نظام المركزية و التنظيم الحضري لمدينة انواكشوط، رسالة ماجستير، جامعة هواري بومدين للعلوم و التكنولوجيا، 2000

الإقامة بالمهجر وذلك في الحالات العادية نظرا لكون العديد من المراكز إنما يدين بوجوده للمهاجرين الأوائل وهي سمة جلية في المدن الموريتانية التي تأسس أغلبها إبان الفترة الاستعمارية. ولذا فإن من الأنصاف القول بأن المهاجرين الأوائل قد استفادوا من المهاجرين الجدد وفي الوقت نفسه ظهرت الانعكاسات السلبية كمحصلة عامة للتزايد المطرد. ومهما يكن فإن الواقع الاقتصادي في مناطق الإرسال والاستقبال ينعكس لا محالة على الواقع الاجتماعي الذي يعتبر بدوره مؤشرا ذا أهمية في فهم الآثار العامة للهجرة في مناطق الجذب والطرد.

2-3- الانعكاسات الاجتماعية

من المؤكد أن الاختلالات الديمغرافية والاقتصادية لها تأثير مباشر على الحالة الاجتماعية لسكان المناطق المهاجر منها (مناطق الانطلاق) وكذلك على المناطق المهاجر إليها (انواكشوط)، حيث أن مغادرة الذكور النشطين تنعكس بشكل سلبي على التوازن الطبيعي بين الجنسين وما ينجم عنه من مشكلات العرض والطلب غير المتكافئ التي تؤدي في النهاية إلى البحث عن شريك في الهجرة، إذ تبدأ الروابط بين أبناء القرية الواحدة تتفكك مع مرور الوقت لتكون أسر مختلطة الدماء من جهات جغرافية متباينة، قد تصبح في النهاية عامل استقرار في مناطق الاستقبال وعامل انتقال من مناطق الإرسال، كما تحدث تغييرا على مستوى التراتيب الاجتماعي السائد في المجتمع التقليدي، حيث يمنع التزاوج بين بعض الشرائح الاجتماعية. وتذوب هذه الفوارق في المدن الكبيرة وتختلط الدماء بين الشرائح الاجتماعية، وهي ظاهرة بدأت تنتشر لدى البعض في انواكشوط إلا أنها شبه مستحيلة لدى البعض الآخر الذي يريد الحفاظ على مكانته الاجتماعية.

كما أن من الانعكاسات الاجتماعية للهجرة على مناطق الاستقبال هي توافد أعداد هامة من الطبقات المسحوقة على المدن والتي تجد فيها مأوى آمنا وأرضية خصبة لتحقيق تطلعاتها إلى الحرية والاستقلال عن الآخرين الذين كانت تربطها بهم علاقات اجتماعية غير متكافئة. وقد استطاعت انواكشوط أن توفر لفئات عريضة من هذه الشرائح مكانة اجتماعية بين مجتمع المدينة، فقد ساعد عامل التعليم في خلق أطر تسلمت مناصب عالية في الدولة و بدأت تعرف تغييرا واضحا من واقعها السابق المسحوق إلى واقع جديد تحتل فيه مكانة اجتماعية أكثر احتراما.

ولا تقتصر الانعكاسات الاجتماعية للهجرة على الجوانب الإيجابية فقط، فإذا كانت هناك فئات قد حققت طموحاتها فإن جماعات كثيرة لم تستطع بعد أن تحصل بشكل كلي على ما غادرت مناطقها الأصلية من أجله، حيث تعيش أعداد من النشطين الباحثين عن العمل والذين اضطرتهم مقتضيات الحياة في المهجر إلى العيش في ظروف صعبة من حيث المأوى والدخل والعمل. وقد أظهرت نتائج المكتب الوطني للإحصاء أن الأسر المهاجرة بنواكشوط عانت من مشاكل متعددة وأكبر المشاكل التي واجهها سكان العاصمة هي السكن. حيث صرحت 17 أسرة من أصل 85 أسرة هي التي شملتها عينة المكتب الوطني للإحصاء أي 20.5% عانت من مشاكل تتعلق بالسكن ،الذي يعتبره البعض غير لائق ولا يرون فرقا شاسعا بينه وبين سكنهم في مناطقهم الأصلية المتمثلة في البيوت البسيطة أو الأكواخ، ولا يحتوي على أي مرافق ولا تجهيزات كما صرحت 12 أسرة أي 13% عن عدم استفادتها من المرافق الحضرية. بينما أعلنت 4 أسر أي 5% تعاني من الاندماج في الوسط الحضري، كما أن صعوبة الحصول على عمل هي ظاهرة صرحت بها 2 أسرة أي 2.5% (أنظر الجدول الآتي).

الجدول (05): توزيع الأسر حسب المشاكل التي واجهتهم 2000م.

نوع المشاكل	العدد	%
غير محدد	39	45.5
متعلقة بالسكن	17	20.5
مرافق حضرية	12	13
اقتصادية	05	6
التكيف مع الوسط الحضري	04	5
اجتماعية	04	5
العمل	02	2.5
أخرى	02	2.5
المجموع	**85**	**100**

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على المكتب الوطني للإحصاء 2000.

الشكل (05): توزيع الأسر حسب المشاكل التي واجهتهم 2000 م.

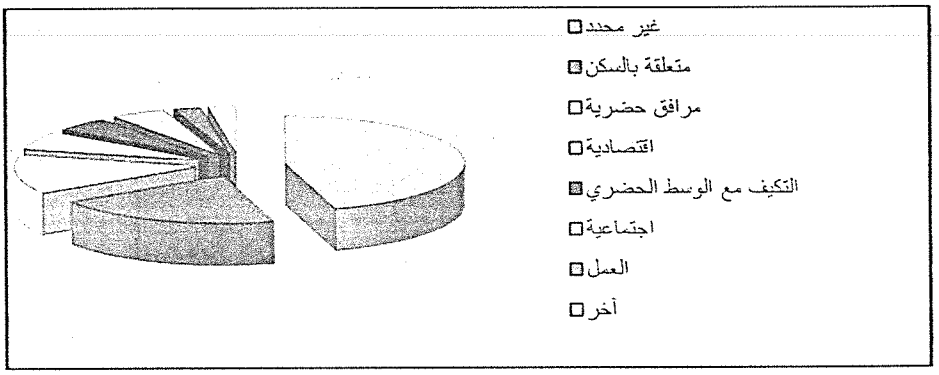

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على الجدول (05).

يتضح من خلال الجدول أن 32 أسرة أي 38% قد تغيرت أساليب حياتها من الحياة البدوية إلى حياة حضرية. كما تغير النظام الغذائي لها، نظرا لتنوع مصادر الغذاء المتوفرة في انواكشوط، ولم يقتصر التغير على الجانب الغذائي فحسب بل إن الحياة في المدينة فرضت تغير أساليب للحياة الجديدة نظرا لعدم تحصين المجموعة الوافدة من الناحية الثقافية، فقد صرحت 7 أسر أي 8.5%من أن أخلاقها تغيرت بعد الهجرة خاصة الأوساط الشبابية التي تطمح إلى الخروج من دوامة التقاليد والعادات المكبلة لحرياتهم إلى الدخول في الحياة العصرية المليئة بالحرية والتطلع لمواكبة العصر. وقد ساعدت أجهزة الإعلام الأجنبية والقنوات الفضائية وأفلام الفيديو في التأثير على فئة عريضة من الشباب وتجلى هذا التأثير في نوع الملابس وطريقة حلاقة الشعر مما خلق أجيال متميزة من حيث المظهر عن الأجيال التي سبقتها. كما زاد عامل التعليم من تغير الأفكار والنظرة للأمور وتتضح ملامح هذا التغير أكثر خاصة في العاصمة بينما تقل في الولايات الداخلية كالنعمة والعيون التي مازالت سكانها تحافظ على قيمها وتقاليدها الموروثة عن الآباء.

وقد أثر المهاجرون على ظاهرة التحضر بالعاصمة لما جلبوه لها من مظاهر الحياة الريفية. وبين الجدول أن 10 أسر أي 12.5% من الأسر المستجوبة تعيش معها حيوانات، تستفيد من لبنها ولحمها ونلاحظ أن الشوارع مليئة بالحيوانات خاصة الغنم و الحمير، وهي حيوانات تمتلكها أسر لاستغلالها لأغراض متعددة، فالحمير للنقل وجلب براميل المياه، والأغنام والماعز يستغلها البعض لبيع ألبانها والمتاجرة بها والبعض الآخر يستفيد منها في غذائه.

و ظاهرة ترييف المدينة ليست جديدة على المجتمع في المدينة، فالخيام المضروبة على أسطح المنازل وداخل مساحات المنازل ظاهرة عرفتها المنطقة منذ نشأتها. كما أن جلب الأسر للحيوانات ميزة الأسر ميسورة الحال التي تضرب خيامها بضواحي المدينة لغرض الراحة ولاستغلال ألبان هذه الحيوانات، فالجمع بين الحياة البدوية والحياة الحضرية ظاهرة طبعت المجتمع الموريتاني منذ أن بدأ يعرف العيش في المدن.

ومنه فإن الانعكاسات الاجتماعية للهجرة على منطقة انواكشوط لا يمكن حصرها ولكن ما يمكن استنتاجه هو أن مناطق الوصول أصبحت محطة لتركز كافة المشكلات الاجتماعية التي حملها المهاجرون من مناطق انطلاقهم مع ما أضيف إليها من تعقيدات ظروف المهاجر. والخريطة (01): تبين توزيع البنايات القصديرية في أحياء انواكشوط حسب آخر معلومات لدى المجموعة الحضرية المكلفة حاليا بتسير وتنظيم المجال الحضري في انواكشوط.

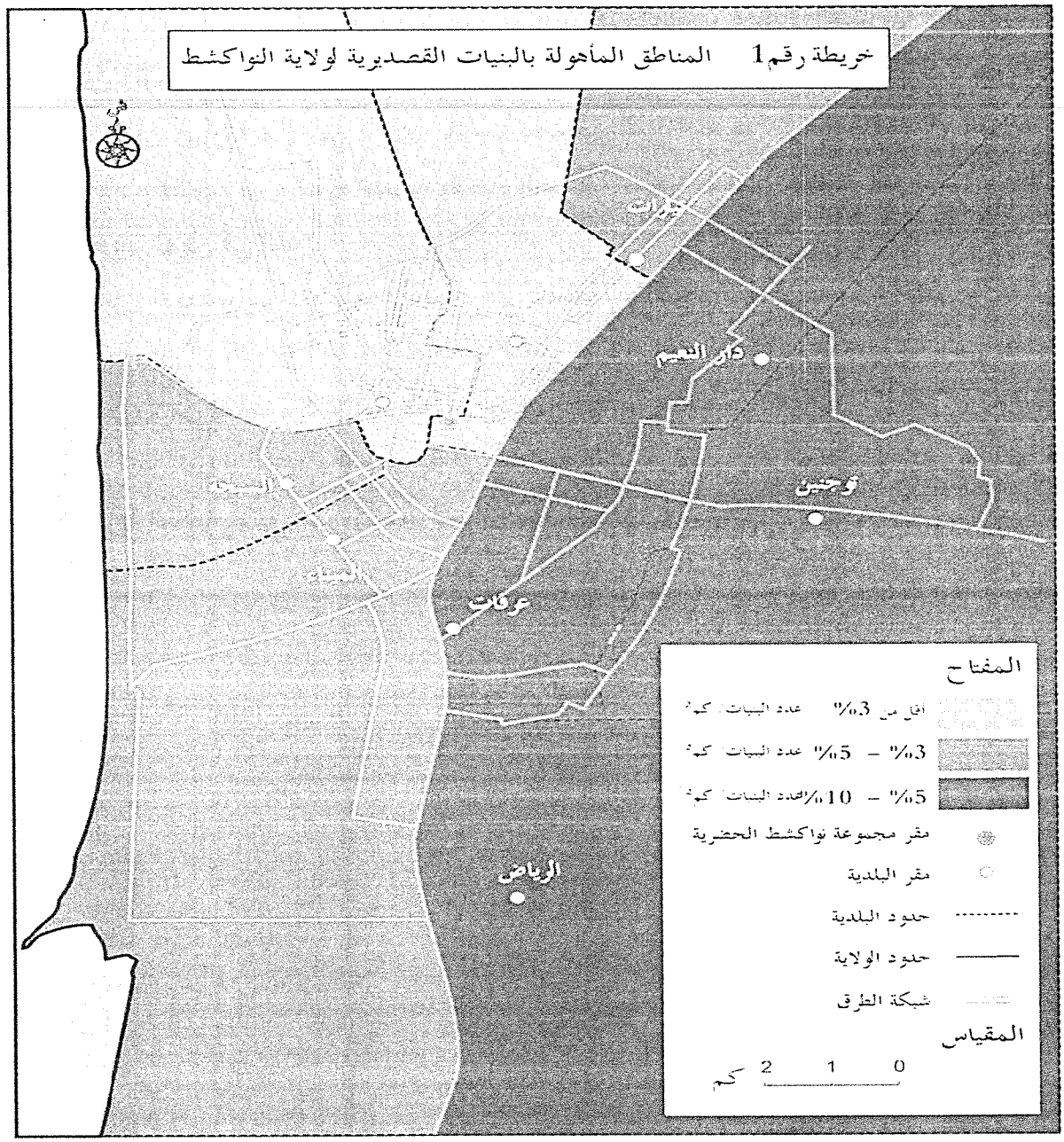

المصدر: من إنجاز الطالب إعتمادا على إذاة الخرائط بالمجموع الحضرية ، نواكشط 2011

2-4- الهجرة وظاهرة تغيير السكن

لعل تغيير السكن داخل المجال الواحد للمدينة هي ظاهرة عرفتها المدينة منذ الثمانينات، مما يوحي بأنها انعكاس للتيارات الهجرية التي استقبلتها، في أعقاب الجفاف والتي عجزت المدينة عن استيعابها، مما نجم عنه ظهور الصفيح كحل ابتكره المهاجرون لإيجاد مأوى لأنفسهم خاصة الذين لا يستطيعون الإيجار بسبب تدني دخلهم. كما ساعد على ظاهرة الانتقال من سكن إلى آخر كون مالك المنزل قد يصبح مضطرا بدوره إلى استخدام منزله المؤجر لإيواء بعض أقاربه من المهاجرين الجدد، كما أن هدم بعض المنازل المؤجرة وإعادة بنائها بأسلوب آخر ساعد على سيادة الظاهرة كما سهل التعاقد بين الأفراد بالنسبة لإيجار المنازل والذي يتم على فترة شهر تتجدد باستمرار فإن انتهاء كل شهر يعطي الحق للمالك في إنهاء العقد وبذلك يظل المهاجر الذي يسكن بالإيجار في حالة غير مستقرة.

كما أن المجال في هذه الفترة عرف حراك سكاني كبير تمثل في امتصاص جزئي لأحياء القصدير وبزور أحياء جديدة في اتجاه الجنوب الشرقي خاصة بعد انطلاق الطرق التي سهلت من عملية التنقل من وإلى بقية أحياء المدينة الأخرى. كما ارتبط تغير السكن في انواكشوط بالموجات الهجرية التي استقبلتها ولا يقتصر الأمر فقط على الانتقال من سكن إلى آخر بل أن التغير شمل انتقال مجموعات بكاملها من حي إلى آخر بل وتشكيل أحياء جديدة بالمدينة.

الخاتمة

لقد تعددت دوافع الهجرة إلى المدينة إذا كان للعامل الطبيعي دورا كبيرا في دفع المهاجرين إلى ترك مواطنهم الأصلية، بعد أن تدهور الاقتصاد الريفي وبدأ الاختلال بين الريفي المهجور والحضري الجاذب، إذ توافدت أعداد كبيرة من السكان الباحثين عن عمل مدفوعين برغبة التحسين من ظروفهم الاقتصادية لتحقيق الذات والاستقلالية، كما دفع عاملي الصحة والتعليم وغير ذلك من الأسباب الاجتماعية والثقافية فئات إلى هجرة مناطقها الأصلية، وقد نجم عن ذلك اختلال التوازن بين مناطق الإرسال ومناطق الوصول، حيث لعب العاملين - الطرد و الجذب - دورا مهما في وجود هذا التفاوت، فإذا كانت مناطق الطرد قد عانت من خلل ديمغرافي بسبب هجرة فئاتها النشطة من الذكور الذين تركوا هذه المناطق للبحث عن عمل بعد أن فقدوا الأمل في توفره في مناطقهم

الأصلية المتأثرة بعوامل الطبيعة، فإن مناطق الاستقبال – انواكشوط– عانت هي الأخرى من وقع الهجرة عليها. فالعاصمة ظلت عاجزة عن توفير العمل لهؤلاء المهاجرين، كما أن عجزها أكثر وضوحا عندما يتعلق الأمر بتأمين مأوى لهؤلاء، مما خلق نموا عشوائيا للمدينة شوه مظهرها الحضري وجعلها قاصرة عن توفير المتطلبات الحضرية لسكانها.

قائمة المراجع و المصادر:

I- المراجع بالعربية:

1- أبو عيانة محمد فتحي، دراسات في جغرافية السكان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1988.

2- أحمد علي إسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، دار الثقافة والتوزيع والنشر، الطبعة الرابعة 1990.

3- بن حامد المختار، حياة موريتانيا، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس 1990 م.

4- تقرير الملتقى الوطني حول النمو المستقبلي لسكان موريتانيا و انعكاساتها على تخلف القطاعات، وزارة الشؤون الاقتصادية و التنمية 1999.

5- زين العابدين ولد سيدات، الأنشطة التجارية و التوسع الحضري و التنظيم المجالي لمدينة انواكشوط، جامعة هواري بومدين للعلوم و التكنولوجيا سنة 2000 م.

6- سيد عبد الله ولد محبوبي، الهجرات الداخلية و التنمية في موريتانيا، الثنائي الحرج، كتاب منشور بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان، المطبعة الوطنية 1997،.

7- عبد الله يوسف أبو عياش، التخطيط و التنمية في المنظور الجغرافي، وكالة المطبوعات، الكويت 1983.

8- محمد ناصر محمد بباه، مدينة انواكشوط دراسة في الجغرافيا الحضرية، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض 1984.

9- محمد ولد أعبيد، نظام المركزية و التنظيم الحضري لمدينة انواكشوط، رسالة ماجستير، جامعة هواري بومدين للعلوم و التكنولوجيا، 2000.

10- محمد الولاتي بشيري، جغرافية موريتانيا – الطبعة الأولى– المطبعة الوطنية، السنة 1993.

11-يوسف عبد المجيد و آخرون، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، المنظمة العربية للتربية و العلوم، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة 1978.

II- المراجع باللغة الفرنسية:

1- Diacana, 1993 croissances urbaines et dynamique spatiale à Nouakchott Thèse de doctorat en géographie et aménagement urbains, université Lumière Lyon II, Institut d'urbanisme.

2- Olivier. D : 1985 le kébé de Nouakchott Contribution à l'étude de la sédentarisation en milieu urbain de populations nomades sinistrées, Thèse pour le doctorat 3eme cycle en géographie, université Paris V Réné des cartes des Paris sciences humaine, Sorbonne.

3- Ould Sidi Mohamed. M. 1985 Urbanisation et sub-urbanisation à Nouakchott Thèse de doctorat 3eme cycle, université de Paris V

4- Office National de la statistique, projections démographiques de la population des wilaya 2000- 2015, Octobre, 2002.